هجرة الأوطان غربة وشقاء: قراءة في ومضة "تيه" لمحمد الحديني

هيفاء حمّاد، سوريا

تيه[2]

النوارس التي هجرت البحر ولم تلتفت لتوسلاته، أصبحت جائعة تطارد أسماك الزينة.

لم تهجر الأوطان؟ ألا تعيش في قلب كل مواطنيها كما يعيشون في قلبها؟ أتهون الأوطان إلا على من هانت عليه نفسه؟ وإن توسلت للمهاجرين ألا يفعلوا، لماذا لا يلتفتون لها؟ إن كانت الهجرة حق، فالبقاء حق وواجب. تتوسل الأوطان في كل حالاتها في سلمها قبل حربها. فكيف يمكن أن تترك في السلم وتهون في الحرب؟ هذا ما قرأته بومضة "تيه" لمحمد الحديني.

فالموطن الرئيسي للنوارس هو ساحل البحر، فلماذا تهجره؟ إلى أين سترحل؟ وهل ستجد موطناً مثله؟ هل ستجد دفئاً كدفء موطنها سيما وأن النوارس تحب الدفء؟ أم أنها لم تعد تجد دفئاً فيه وترنو إلى مكان آخر تطمح إلى دفئه؟ لعله ذلك! أو لربما أنها لم تعد تجد غذاءها؟ أو ضاقت بطيور أخرى أتت تقاسمها مكانها؟ وهل ذلك يستدعي الهجرة والتخلي عن

[2] محمد الحديني. "6 ومضات". **ومضات ديسمبر 2014**. الكتاب السادس في سلسلة كتاب الومضات الشهرية الإلكتروني ويصدر عن مجموعة سنا الومضة القصصية. تحرير وتقديم: د. جمال الجزيري. الجيزة: حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني، يناير 2015. ص 20.

obeikandl.com

موطنها الذي نشأت فيه بدل الوقوف في وجه من جاء يعتدي عليه؟ لا أحد يدري سبب هجرتها؟ فالبحر توسل إلى النوارس قبل هجرتها (هجرت ولم تلتفت لتوسلاته) ولكنها لم تلتفت.. إذن هي ناكرة للعشرة وللسنوات التي أمضتها على سواحله. فها هي لم تهتم لتوسلاته. ربما توسلاته كانت حباً بها وربما كانت للدفاع عنه؟ وفي كلتي الحالتين أتتركه للغير؟ ألا يمكن أن تقاسم موطنها أوجاعه؟ البحر موطن يتسع للجميع كأي وطن يحاول التمسك بأبنائه. ماذا سيتبع هجرتها و يتمخض عنها؟ هذا ما تكشفه لنا الجملة الثانية بالفعلين(أضحت، تطارد) أضحت جائعة. يالللخيبة إن كانت قد هجرت موطنها من أجل غذائها! فها هي تستيقظ جائعة! أي أنها أيضاً باتت ليلتها دون غذاء. ماذا سيحل بها من الصباح؟ لا بد لها من البحث عن طعام وأي طعام (أسماك الزينة) التي هي الغذاء الرئيسي للنوارس والتي سيفقدها البحث عنها الدف الذي وجدته في ذلك المكان إن الذي هجرت إليه. فأسماك الزينة تعيش في الأعماق السحيقة أو في أحواض الزينة في المنازل والمحلات التجارية. فإن أرادت البحث عنها في أعماق البحار هذا يستدعي الغوص بعيداً بالمياه الباردة. واحتمال النجاة بعيد. وإن أرادت غير ذلك فلابد لها من السرقة واقتحام المنازل والمحلات. وفي الحالتين هو الموت.وإن نجت فأي حياة تعيش. إذاً هو الشقاء والغربة.

وهذا ما أجده في هجرة الكثيرين من أبناء وطني.